جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين

–الآليات والآثار–

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية -تخصص: لغة عربية ودراسات قرآنية

الطلبة:

محمد البشير لبيض

حسن خلوط

المشرف:

د. العيد حذيق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	رئيسا
د. العيد حذيق	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442–1443هـ/2021–2022م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾

[التحريم: 06]

الإهداء

إلى من اوصى الله بهما بالإحسان حيث قال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: 23].

إلى الإخوة والأخوات.

إلى كل من أولانا معروفاً أو أسدى لنا نصيحة.

إلى كل المسلمين والمسلمات.

نهدي هذا العمل

شكر وعرفان

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19]

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا وبعد:

نتوجه بعظيم شكرنا وامتناننا للدكتور المشرف **العيد حذيق** على ما أبداه لنا من توجيهات ونصائح، وارشادات، فله منا خالص الاحترام والتقدير، ونسأل الله أن يبارك له في علمه ويجزيه عنا خير الجزاء.

كما نتقدم بالشكر كذلك لأعضاء اللجنة المناقشة لقبولهم تقييم هذا العمل وتصويب ما فيه من نقص، فجزاهم الله خير الجزاء.

وفي الأخير نتقدم بشكرنا لجميع الزملاء والأصدقاء الذين ساعدونا في جمع المعلومات، وطباعة المذكرة، وإلى كل من قدم لنا مثقال ذرة من الإعانة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

الطالبين.

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث موضوع تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين –الآليات والآثار–، وقد جاءت إشكالية البحث كالآتي: **ما أثر تطبيق قواعد الترجيح المتعلقة بالتفسير في اختلاف المفسرين؟**

وقد تطرق البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: مدخلٌ مفاهيميّ عام لقواعد الترجيح عند المفسرين

المبحث الثاني: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة باللغة.

المبحث الثالث: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني والإجماع.

وقد توصلت الدراسة إلى أن لقواعد الترجيح عند المفسرين أثر كبير في اختلاف أوجه التفسير عند المفسرين، وقد تجلى ذلك في الكثير من المواضع في القرآن الكريم.

Summary of the study:

This research deals with the application of weighting rules among interpreters - mechanisms and effects - and the problem of the research was as follows: What is the impact of the application of weighting rules related to interpretation on the difference of interpreters؟

The research dealt with three topics:

First Section: A General Conceptual Introduction to the Rules of Weighting in Interpreters

Second Section: Models of weighting rules related to language.

Third Section: Models of weighting rules related to the Qur'anic text and consensus.

The study found that the rules of weighting in interpreters have a great impact on the different interpretations of commentators, and this has been reflected in many places in the Holy Qur'an .

مقدمة

مقـــدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إلاه إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

كما هو معلوم أن أشرف علم يسعى العبد هو خدمة كتاب الله والعناية به حفظا ودريسا وتفسيرا، للأنه أشرف العلوم، فلما كانت خدمة كتابه بهذه المنزلة اصطفى الله لها خيرة خلقه لمافي حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ":خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

و المتأمل لكتب التفسير يجد فيها بعض الاختلاف في أوجه التفسير ويرجع ذلك لاختلافهم في قواعد التفسير أو الترجيح، وكان لهذه الأخيرة أثر بالغ في اختلاف المفسرين.

ومن هذا المنطلق جاء اختيار هذا موضوع والذي بعنوان: " **تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين –الآليات والآثار–**".

وفي هذا الصدد يأتي هذا البحث الذي يُراد منه التعرف على حقيقة قواعد الترجيح عند المفسرين وما كان لها من أثر في اختلاف المفسرين، وذلك من خلال التعرف على أهم القواعد الترجيحية التي يضعها المفسرين في الترجيح بين أوجه التفسير.

أولاً: إشكالية البحث

تتركز إشكالية البحث في الإجابة على سؤال جوهري هو:

- **ما أثر تطبيق قواعد الترجيح المتعلقة بالتفسير في اختلاف المفسرين؟**

وتتفرع عن هذا التساؤل أسئلة جزئية يسعى البحث للإجابة عنها، هي كما يأتي:

1- ما مفهوم قواعد الترجيح عند المفسرين؟

2- ما هي أسباب اختلاف المفسرين؟

3- ما هي آليات تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين؟

4- هل هناك فرق بين الفسرين في استخدامهم لقواعد الترجيح

5– ما هي آثار قواعد الترجيح في اختلاف المفسرين؟

ثانيًا: أهمية البحث

يمكن إجمال أهمية هذا البحث في الآتي:

1- وجود الكثير من مواضع التفسير المختلف فيها بين المفسرين.

2- تعدد قواعد الترجيح عند المفسرين وتنوعها.

3- تأثير قواعد الترجيح على الأحكام الفقهية في بعض الأحيان.

رابعًا: أهداف البحث

يمكن أن نُعدد أهداف البحث في الآتي:

1- التعريف بقواعد الترجيح عند المفسرين.

2- معرفة أهم القواعد التي اعتمد عليها المفسرين في ترجيحاتهم.

3- إبراز أهم أسباب الاختلاف بين المفسرين.

4- محاولة الوقوف على أثر اختلاف قواعد الترجيح في اختلاف المفسرين، من خلال عرض بعض النماذج التطبيقية.

خامسًا: أسباب اختيار البحث

هناك عدة أسباب كانت عبارة عن دوافع وحوافز للبحث في هذا الموضوع ولعلّ من أبرزها الآتي:

1- معرفة مناهج الترجيح وقواعد الاستدراك عند المفسرين .

2- الوقوف على مناهج المفسرين في التفسير والترجيح.

3- معرفة مدى الإتفاق والإختلاف بين المفسرين في قواعد الترجيح والإستدراك.

سادسًا: منهج البحث

تعتمد الدراسة على المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء وتتبع بعض المواضع القرآنية والوقوف على أهم آراء المفسرين واختلافهم في تفسير هذه المواضع

2- المنهج المقارن: وذلك من خلال عرض أوجه التفسير والقواعد الترجيحية التي اعتمد عليها المفسرون، ومناقشتها ثم توجيهها.

سابعًا: الدراسات السابقة

تعددت الدراسات السابقة التي لها صلة مباشر أو غير مباشرة بالموضوع، كما أن كثير من جزئيات الموضوع مبثوثة في كتب التفسير وعلوم القرآن، ولعلّ من أبرزها الدراسات الآتية:

1- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي: وقد تطرق الكاتب لعرض صور كثير من قواعد الترجيح، كما تطرق الكاتب لتقريرات العلماء لقواعد الترجيح.

2- قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"دراسة تأصيلية تطبيقية، لعبير بنت عبد الله النعيم، رسالة علمية مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآداب، تخصص: تفسير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، وقد تناولت الباحث في رسالتها قواعد الترجيح المتعلقة بذات النص القرآني، وكذا قواعد الترجيح المتعلقة بالنسخ و قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات ورسم المصحف، وكذلك قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني و قواعد الترجيح المتعلقة بالمفردة القرآنية.

3- قواعد الترجيح بالسياق في تفسير الطبري-نماذج منتخبة-، لريمة مشومة، مقال منشور في مجلة الإحياء، العدد17-2014/18-2015، وقد تناولت الباحثة في هذا البحث التعريف بالإمام الطبري وأهم مؤلفاته، كما بينت مفهوم السياق، وفي الأخير عرضت أهم النماذج التطبيقية.

4- صيغ الترجيح وقواعده عند القاسمي في تفسيره: محاسن التأويل، لمحمد عبدالله عباس مُحَمَّد. وهو مقال منشور في مجلة السعيد للعلوم الإنسانية والتطبيقية المجلد 3 العدد (1) يونيو 2019 م، وقد تناول الباحث في هذه الدراسة صيغ الترجيح عند العلامة القاسمي، ثم تطرق لقواعد الترجيح عند القاسمي.

5- استدراكات ابن كثير على ترجيحات ابن جرير من خلال تفسير القرآن العظيم يوسف محمود مُحَمَّد على، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، تناول الباحث في هذه الدراسة الاستدركات على ترجيحات علوم القرآن، كما تناول الباحث

الاستدراكات على ترجيحات علم التفسير.

6- **ثامنًا: خطة البحث**

لقد جاءت خطة البحث في ثلاثة مباحث وفق الترتيب الآتي:

المبحث الأوّل: مدخلٌ مفاهيميّ عام لقواعد الترجيح عند المفسرين

المبحث الثاني: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة باللغة.

المبحث الثالث: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني والإجماع.

الخاتمة: ضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

تاسعًا: صعوبات البحث:

تتلخص صعوبات البحث في الآتي:

1- عدم القدرة على الإلمام بجميع النماذج التطبيقية المتعلقة بكل قواعد الترجيح.

2- تشعب جزئيات البحث وصعوبة الإلمام بها.

عاشرًا: منهجية البحث:

أهم ما التزمت به منهجية هذا البحث، هو ما سيُذكر ملخصا في النقاط الآتية:

1- تخريج الآيات في المتن بالطريقة الآتية: [اسم السورة: رقم الآية]، وكتبت الآية فيما بين الرمزين الآتيين: ﴿ ﴾، مع تثخين الخط؛ تمييزا لكلام المولى عز وجل عن باقي كلام البشر.

2- وضع الأحاديث النبوية بين مزدوجين بالشكل الآتي: « » مع تثخين الخط؛ تمييزا لأقواله ﷺ عن أقوال غيره من سائر البشر، ويكون تخريجها في الهامش، على الطريقة الآتية: ذكر صاحب المصَنَّف الحديثي وعنوان المصنف، ثم الكتاب والباب إن وُجدا رقم الحديث إن وجد، رقم الجزء إن وجد، والصفحة.

3- الاكتفاء بتخريج الحديث من أحد الصحيحين أو موطأِ مالك إن كان الحديث في واحد منهم، أما ما لم أجده في هذه الكتب فأخرجه من مصدر حديثي آخر.

4- توثيق المعلومات الواردة في المتن بالهامش على الطريقة الآتية: ذكر المؤَلَّف، المؤَلِّف، رقم الجزء الصفحة. على أن تكون باقي معلومات الكتاب في قائمة المصادر والمراجع كالآتي: المؤَلِف المؤَلف، التحقيق إن وُجد، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر.

5- عند استعمال الكتاب في موضعين متتاليين لا يُفصل بينهما باستعمال كتاب آخر،

تُورد العبارة الآتية: المصدر أو المرجع نفسه، ثم تُردف برقم الجزء والصفحة. هذا إن كان الاستعمالان في الصفحة نفسها، أما إذا كان الأول في صفحة والآخر في تاليتها فتُرد العبارة الآتية: المصدر أو المرجع السابق.

6- إذا كان المرجع رسالة علمية أكاديمية فإن التوثيق يكون في قائمة المصادر والمراجع على النحو الآتي: عنوان الرسالة، الباحث، نوع الدرجة العلمية، المشرف، الجامعة، مكانها، سنة المناقشة.

7- إذ كان المرجع عبارة عن مقال في مجلة، فتوثيقه يكون كالآتي: عنوان المقال، صاحب المقال، (الإشارة بين قوسين بأنه مقال)، رقم الصفحة. ويكون ذكر سائر معلومات المقال في فهرس المصادر والمراجع كالآتي: عنوان المقال، صاحب المقال، اسم المجلة، رقم العدد، سنة الصدور، جهة الإصدار-إن وجدت- مكانها.

8- إذا كان المؤلف أكثر من واحد فيُذكر الأول منهم ثم يُتبع بكلمة "وآخرون".

9- عند أخذ المعلومات من الشبكة العنكبوتية، فالتوثيق يكون بذكر عنوان الموضوع واسم كاتبه إن وُجد، متبوعا بإثبات اليوم والساعة الذين أُخذت فيهما المعلومات، وكذا سائر معلومات الصفحة كما هي بالأحرف الآتينية.

10- لم يُترجم لأي علم ذُكر عرضا في هذه المذكرة؛ لكثرتهم في التراجم الموجودة في المتن.

11- عند حذف الكلام من النصوص المنقولة حرفيا توضع العلامة: ...(ثلاث نقاط).

12- كتابة كلمة "يُنظر" في الكلام الذي ينقل عن قائله بالمعنى، على أن تكون الإشارة إلى الكلام المنقول حرفيا من دون استعمال هذه الكلمة، مع وضع الكلام بين مزدوجتين،"".

13- الالتزام برموز معينة لإفادة المعاني الآتية، الطبع: ط، التحقيق: ت، الجزء: ج، الصفحة: ص عدد المجلة: ع، التاريخ الهجري: هـ، التاريخ الميلادي: م، وهذا اختصارا؛ لكثرة تكرارها.

المبحث الأوّل: مدخلٌ مفاهيميّ عام لقواعد الترجيح عند المفسرين

إن المتأمل في المنهج العام للقرآن الكريم يجد أن من الخصائص التي تقرها آياته خاصية الاختلاف ، هذه الخاصية تواجه المفسرين حال إيضاح المعاني القرآنية مما يتطلب قواعد خاصة بالترجيح بين الأقوال المختلفة للوصول إلى أكثرها صوابا وفي هذا المبحث سأتطرّق إلى مدخل مفاهيمي عامّ لقواعد الترجيح عند المفسرين وذلك في مطالبين كما يأتي:

المطلب الأول: مفهوم قواعد الترجيح.

المطلب الثاني: اختلاف المفسّرين

المطلب الأول: مفهوم قواعد الترجيح.

إنّ علم التفسير علم يبحث في مراد الله تعالى من كلامه ، لذا كان من البديهي أن يتقيد بقواعد تضبطه ، وفي هذا المطلب سنعنى ببيانها من خلال تعريف مصطلحي القواعد والتفسير كل لفظ منهما على حدة ثم تعريفها كمركب إضافي.

ومصطلح "قواعد التفسير" مصطلحٌ مركّب من: القواعد، والتفسير، ولهذا وجب تعريف كل لفظة على حده، قبل تعريفه كمصطلحٍ واحد.

الفرع الأول: تعريف القاعدة في اللغة والاصطلاح.

أولًا: القاعدة لغةً:

جاء في اللسان: "والقاعدة: أصل الأس، والقواعد: الإساس، وقواعد البيت إساسه"[1].

وفي معجم المقاييس: "وقواعد البيت: أساسه. وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضات في أسفله"[2].

ومن هنا فإنّ القاعدة في اللّغة هي أساسُ الشيءِ.

ثانيًا: القاعدة اصطلاحاً:

إن الناظر في تعريفات العلماء للقاعدة اصطلاحاً يجد اختلافاً في عباراتهم، من بينها:

1-عرّفها الجرجاني بأنها: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها.

2-عرفها الكفوي بأنها: قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها.

3-عرّفها الفيومي بأنها: الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته.

4-وعرفها التفتازاني بأنها: حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب، 3

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 109/5

5-وقال الفتوحي في تعريفها: صور كلية تنطبق كل واحدة منها على جزئياتها التي تحتها. وهذا مدلول عام يشمل كل ما يطلق عليه قاعدة في العلوم كافة[1].

الفرع الثاني: تعريف الترجيح في اللغة والاصطلاح.

أولًا: الترجيح لغة: جاء في معجم المقاييس: "(رجح) الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة. يقال: رجح الشيء، وهو راجح، إذا رزن، وهو من الرجحان"[2].

ثانيًا: وفي الاصطلاحِ: له تعاريف كثيرة عند الفقهاء من الحنفية والشافعية وغيرهم، ونذكر من هذه التعاريف تعريفٌ جامع وهو: " تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل"[3].

الفرع الثالث: التّعريفُ بالمُركّب الإضافي "قواعد الترجيح":

يختلف المفسرون في إيضاح المعنى المقصود من كلام الشارع على الرغم من اتباع قواعد تعنى بتفسيره كما هو معلوم لذا أسس العلماء قواعد ترجيحية مختلفة ، وفي هذا المطلب سيتم بيان المقصود منها مع توضيح تصنيفاتها

"هي ضوابط وقواعد أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة"[4].

أولًا: غاية العلم بقواعد الترجيح هي:

"معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله، وتصفيه وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها"[5].

---

[1] يُنظر؛ عبير بنت عبد الله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير -دراسة تأصيلية تطبيقية، ص105-106.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، 489/2.

[3] حسين بن علي بن حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، 29/1.

[4] المرجع نفسه، 33/1.

[5] المرجع نفسه.33/1.

ثانيًا: استمداد قواعد الترجيح:

"استمدادها من أصول الدين، ومن لغة العرب، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن، واستقراء ترجيحات أئمة التفسير"[1].

ثالثًا: أنواع قواعد الترجيح.

تنقسم قواعد الترجيح إلى عدة أقسام:

قواعد ترجيحية متعلقة بالنص القرآني، وقواعد ترجيحية متعلقة بالسنة والأثر، وقواعد ترجيحية متعلقة باللغة.

ويندرج تحت كل نوع من هذه الأنواع الرئيسية قواعد ترجيحية كثيرة.

1_ قواعد الترجيح المتعلقة بالنص:

ويندرج تحت هذه القواعد ما يلي:

القواعد الترجيحية المتعلقة بالنسخ، القواعد الترجيحية المتعلقة بالقراءات، الترجيح برسم المصحف، الترجيح بالحقيقة والمجاز، الترجيح بالسياق القرآني، الترجيح بالمعاني الشرعية، الترجيح بالأغلب من طريقة القرآن وعاداته، الترجيح بظاهر القرآن.

2_ قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والأثر.

ويندرج تحت هذه القواعد ما يلي:

الترجيح بدلالة الحديث النبوي، الترجيح بتفسير وقول الصحابي، الترجيح بالإجماع، الترجيح بأسباب النزول.

[1] حسين بن علي بن حسين الحربي، المرجع السابق.33/1

3_ قواعد الترجيح المتعلقة باللغة، ومنها:

الترجيح بالتقديم والتأخير، الترجيح بالأغلب من لغة العرب، الترجيح بالعموم في القرآن، الترجيح بالتأسيس والتأكيد، الترجيح بعودة الضمير إلى أقرب مذكور، الترجيح بتوافق الضمائر، الترجيح بالتقدير وعدمه، الترجيح بناءً على التصريف، الترجيح بناءً على الناحية البلاغية.[1]

الفرع الرابع: الفرق بين قواعد التفسير وقواعد الترجيح والعلاقة بينهما:

إن قواعد التفسير أشمل من قواعد الترجيح، ذلك أن قواعد التفسير هي تلك الأمور المنضبطة التي يستخدمها المفسر في تفسيره وتصير منهجاً يسير عليه لاستنباط معاني القرآن الكريم، بينما قواعد الترجيح ناتجة عن قواعد التفسير أي تنبني عليها.

ومثال ذلك: قاعدة: حمل معنى الآية على الغالب في أسلوب القرآن، ومعهود استعماله فهذه القاعدة التفسيرية تبنى عليها قاعدة ترجيحية حال الاختلاف وهي (القول الذي يوافق استعمال القرآن والغالب من أسلوبه أولى بتفسير الآية من غيره) أو (إعمال الأغلب في القرآن وتقديم المفهوم الجاري في استعماله أولى).

وعليه فإن كل قاعدة من قواعد الترجيح هي في الأصل قاعدة من قواعد التفسير، كما أن كل قاعدة من قواعد التفسير تصلح أن تكون قاعدة من قواعد الترجيح، فبينهما تداخل ظاهر[2].

[1] يُنظر؛ عبير بنت عبد الله النعيم، المرجع السابق، ص 125-126. وحسين بن علي بن حسين الحربي، المرجع السابق، من 61/1-وما بعدها.

[2] عبير بنت عبد الله النعيم، المرجع السابق، ص124.

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين.

إن معرفة مقصود الله سبحانه وتعالى من آياته هو موضوع التفسير، لذا كان التقارب في إيضاح معانيه بين المفسرين غالب، غير أنّ بعض الآيات –خصوصا آيات الأحكام– اختلف فيها المفسرون اختلافا بيّنا، وفي هذا المطلب سنشير إلى اختلاف المفسرين من خلال توضيح المقصود منه مع التعريج على أنواع الاختلاف.

أوّلاً: تعريف الاختلاف.

1- **الاختلاف لغة:** جاء في معجم المقاييس: "وأما قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خلفة أي مختلفون، لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه"[1].

وفي اللسان: "وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا. وكل ما لم يتساو، فقد تخالف واختلف"[2].

2- **اصطلاحا:** "الاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفا والمقصود واحدا، أما الخلاف كلاهما مختلف"[3].

ثانياً: التعريف بالمفسّرين.

المفسرون جمع مفسّر، والمفسّر هو: "من له أهلية تامة يعرف بها مراد الله –تعالى– بكلامه المتعبد بتلاوته، قدر الطاقة، وراض نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جملا كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عمليا بتعليم أو تأليف"[4]. قال بعض العلماء:

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، 213/2.

[2] ابن منظور، لسان العرب، 91/9.

[3] أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ، ص64.

[4] حسين بن علي بن حسين الحربي، المرجع السابق، 27/1.

"والاختلاف يستعمل في قول بني على دليل والخلاف فيما لا دليل عليه"[1]. كما عرفه مُحَمَّد الصالح مُحَمَّد سليمان: "الاختلاف هو تغاير أقول المجتهدين حول مسألة من مسائل العلم. ثم قال فكل خلاف يقع بين أصحاب أي فن من الفنون يمكن ان يكون مندرجا تحت هذا التعريف العام وداخلا فيه"[2].

ثالثاً: تعريف اختلاف المفسرين باعتباره مركب إضافي.

"هو أن يذكر المفسرون في بيان معنى اللفظة أو الآية الواحدة أقوالا متغايرة، سواء كانت متضادة أم لا. واختلاف المفسرين يرجع في الأغلب إلى اختلاف التنوع الذي يمكن فيه الجمع بين القولين المختلفين"[3].

رابعاً: أنواع الاختلاف.

إنّ الاختلاف في البشر سنّةٌ، وكل إنسان ينظر إلى المسائل من وجهة نظره هو ويحكم عليها بحسب اجتهاده، ويمكن أن نقسّم الاختلاف الواقع في التفسير إلى قسمين اثنين:

الأول: اختلاف التنوع.

الثاني: اختلاف التضاد.

وقد وقع هذان القسمان في تفسير السلف، إلا أن الثاني قليل، قال شيخ الإسلام مشيراً إلى اختلاف التضاد بعد أن ساق اختلاف التنوع، ومع هذا فلا بد من اختلاف محقق بينهم، كما يوجد مثل ذلك في الأحكام"[4].

[1] محمود حامد عثمان، القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، ص 27-28.

[2] مُحَمَّد صالح مُحَمَّد سليمان، اختلاف السلف في التفسير بين النظرية والتطبيق، ص24.

[3] مُحَمَّد صالح مُحَمَّد سليمان، المرجع السابق، ص39.

[4] يُنظر؛ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، تقديم، ص 76.

أ) _ اختلاف التّنوّع:

"هو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة، ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكن العبارتين مختلفتان، ومنه ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر"[1].

وهذه أمثلة عن هذا النوع من الاختلاف:

1_ قال شيخ الإسلام: "أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى"[2].

ومثال هذا في قوله تعالى﴿ **قَالَ تَعَالَى:** ﴾ **[الفاتحة 06]**

قال بعضهم: القرآن؛ أي: اتباعه، وقال بعضهم: هو الإسلام، قال شيخ الإسلام: فهذان القولان متفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبَّه على وصف غير وصف الآخر، كما أن لفظ (صراط) يشعر بوصف ثالث، وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة، وقول من قال: هو طريق العبودية، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأمثال ذلك، فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها.[3]

2_ قال شيخ الإسلام: "أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال"[4].

---

[1] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، المرجع السابق، ص80. وينظر؛ مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع، أسباب اختلاف المفسرين، ص 16.

[2] مساعد الطيار، المرجع السابق، ص81.

[3] يُنظر؛ المرجع نفسه، ص82. ومُحَمَّد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع، المرجع السابق، ص18.

[4] مساعد الطيار، المرجع السابق، ص 83.

ومثال على هذا في قوله تعالى ﴿ العَنكبُوتِ الرُّومِ لُقمَانَ السَّجدَةِ الأَحزَابِ ﴾ [التكاثر 08]

"قيل في النعيم أقوال: منها الأمن والصحة والأكل والشرب، وقيل: تخفيف الشرائع، وقيل: الإدراك بحواس السمع والبصر، فهذا المذكور كله أمثلة للنعيم"[1].

ب) _ اختلاف التّضاد:

"هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر"[2].

ومن أمثلته:

1_ قال تعالى﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾[البقرة 228]

يمتنع حمل هذه الآية على معنيين، بل يلزم من القول بأحدهما ونفي الآخر وذلك في لفظة (قرء)، فقد ورد في لغة العرب بمعنى: الطهر، وبمعنى: الحيض، ففي هذا المثال يمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي الآخر، فالمطلوب من المرأة أن تتربص؛ إما ثلاثة أطهار، وإمَّا ثلاث حيض.[3]

2_ قال تعالى ﴿ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَانِ المُرسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكوِيرِ الإِنفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الإِنشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعلَى الغَاشِيَةِ الفَجرِ البَلَدِ الشَّمسِ اللَّيلِ الضُّحَى الشَّرحِ التِّينِ العَلَقِ القَدرِ البَيِّنَةِ الزَّلزَلَةِ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ التَّكَاثُرِ العَصرِ ﴾ [الصافات 101-102]

[1] مساعد الطيار، المرجع السابق، المرجع السابق، ص84.

[2] مساعد الطيار، المرجع السابق، ص 80. ومُحَمَّد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع، المرجع السابق، ص 25.

[3] يُنظر؛ فصول في أصول التفسير، ص 89. وأسباب اختلاف المفسرين، ص 25-26.

اختلف المفسرين في هذه الآية في الذبيح من ولد إسماعيل -عليه السلام-فقيل: إسحاق، وقيل: أنّه إسماعيل، وهو الصّواب والله أعلم، وذلك لأدلة كثيرة.[1]

[1] يُنظر؛ مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع، المرجع السابق، ص 25.

المبحث الثاني: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة باللغة.

أنزل القرآن على مُحَمَّد عليه السلام بلسان عربي اقتضى اتباع أساليب البيان العربية في تفسيره بمراعاة معهود الخطاب العربي، وفي هذا المبحث سأتطرق إلى نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة باللغة. وذلك في أربعة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الترجيح بالأغلب من لغة العرب من خلال بيان المقصود ب(يؤمنون)

في قوله تعالى: ﴿الٓرٓ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الْبَقَرَةِ: 03]

المطلب الثاني: الترجيح بالعموم في القرآن في بيان معنى (العهد) في قوله تعالى﴿ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ ﴾ [البقرة: 27]

المطلب الثالث: الترجيح بالتقدير وعدمه في معنى "ما" في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾[البقرة: 102]

المطلب الرابع: الترجيح بالأغلب من لغة العرب في معنى (وَاهْجُرُوهُنَّ) في قوله تعالى: ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النساء: 34]

المطلب الأول: الترجيح بالأغلب من لغة العرب من خلال بيان المقصود ب(يؤمنون) في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الْبَقَرَة: 3]

إنّ فصاحة العرب تقتضي غزارة المصطلحات وتنوع المفردات، غير أن ذلك لا يمنع اتفاق الأغلب من أهل اللغة العربية على معان موحدة ، وهو ما اقتضى اتخاذها قاعدة ترجيحية عامة، وفي هذا المطلب سندرس نموذجا من ذلك على التفصيل الآتي:

الفرع الأول: قول ابن جرير الطبري*:

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره هذه الآية﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾"وقد اختلفَ أهلُ التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم، وفي نَعْتهم وصِفَتهم التي وَصفَهم بها، من إيمانهم بالغيب، وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيرَه[1].

فقال بعضُهم: هم مؤمنو العربِ خاصة، دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب.

وقال بعضهم: بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة.

* الطبري: هو مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، أحد كبار المفسرين، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، أصله من آمل طبرستان، طوف الاقاليم، وسمع من أحمد بن منيع، وغيره. روى عنه الطبراني وأحمد بن كامل، وطائفة وله التصانيف العظيمة منها تفسير القرآن وهو أجل التفاسير، ومنها تهذيب الآثار، وكتاب القراءات وكتاب أحكام شرائع الاسلام، وكان أولاً شافعياً، ثم انفرد بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات، وله أتباع ومقلدون، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة. توفي سنة 310هـ، ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص97.

[1] تفسير الطبري، 237/1.

وقال بعضهم: بل الآيات الأربع من أول هذه السورة، أنزلت على مُحَمَّد ﷺ بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم، وأهل الكتابين وسواهم.

أولًا: ما رجحه ابن جرير:

رجح ابن جرير رحمه الله المقصود بـ: ﴿ صدق الله العظيم ﴾ أنهم مؤمنو العربِ خاصة. حيث قال: "وأولى القولين عندي بالصواب، وأشبههما بتأويل الكتاب، القولُ الأول"[1]. أي؛ هم مؤمنو العربِ خاصة، دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب.

ثانيًا: سبب الترجيح[2]:

قال ابن جرير في تبرير ما ذهب إليه من ترجيح: " أنّ الذين وَصَفهم الله تعالى ذِكره بالإيمان بالغيب، وبما وصفهم به جَلَّ ثناؤه في الآيتين الأوَّلتَيْن ، غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزِل على مُحَمَّد والذي أنزل على مَنْ قبله من الرسل، لما ذكرت من العلل قبلُ لمن قال ذلك.

وقال أيضًا: "ومما يدلّ أيضًا مع ذلك على صحّة هذا القول، أنه جنَّسَ – بعد وصف المؤمنين بالصِّفتين اللتين وَصَف، وبعد تصنيفه كلَّ صنف منهما على ما صنَّف الكفار – جنْسَيْن فجعل أحدهما مطبوعًا على قلبه، مختومًا عليه، مأيوسًا من إيابه والآخرَ منافقًا، يُرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسرُّ النفاق في الباطن. فصيَّر الكفار جنسَيْن، كما صيَّر المؤمنين في أول السورة جِنْسين. ثم عرّف عباده نَعْتَ كلِّ صنف منهم وصِفَتَهم، وما أعدَّ لكلّ فريق منهم من ثواب أو عقاب، وَذمّ أهل الذَّم منهم، وشكرَ سَعْيَ أهل الطاعة منهم"[3].

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 240/1.

[2] المصدر نفسه، 240/1.

[3] المصدر نفسه، 241/1.

الفرع الثاني: قول الامام ابن كثير*:

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية﴿ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾:"وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هاهنا: هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى: ﴿ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾**[البقرة: 03]** ومن هم؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدهما: أن الموصوفين أولا هم الموصوفون ثانيا، وهم كل مؤمن، مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم، قاله مجاهد، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة.

والثاني: هما واحد، وهم مؤمنو أهل الكتاب، وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات، كما قال تعالى: ﴿ مَرْيَمَ طٰهٰ الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبإ فاطر يس الصافات ص﴾ **[الأعلى: 1-5]** وكما قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم ...

فعطف الصفات بعضها على بعض، والموصوف واحد.

* ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، بدأ ابن كثير الاشتغال بالعلم على يد شقيقه عبد الوهاب، ثم تتلمذ على يد برهان الدين الفزاري، كمال الدين ابن قاضي شهبة، وغيرهم. مَاتَ فِي شعْبَان سنة 774هـ، وَكَانَ قد أضرّ فِي أَوَاخِر عمره ، من مؤلفاته: البداية والنهاية وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وطبقات الفقهاء الشافعيين وتفسير القرآن الكريم. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بن حجر العسقلاني، 445/1.

والثالث: أن الموصوفين أولا مؤمنو العرب، والموصوفون ثانيا بقوله: ﴿الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ **[البقرة:04]** الآية مؤمنو أهل الكتاب، نقله السدي في تفسيره، عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة، واختاره ابن جرير، ويستشهد لما قال بقوله تعالى: ﴿القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ ﴾ **[آل عمران: 199]** ، وبقوله تعالى: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ **[القصص: 52-54]** . وثبت في الصحيحين، من حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها"**[1] .

أولًا: ما رجحه ابن كثير:

يرى ابن كثير أن القول الراجح في تفسير الآية أنها عامة، يقول رحمه الله: " قلت: والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري....الأربع عامة في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي، وكتابي من إنسي وجني"[2].

ثانيًا: سبب الترجيح:

[1] رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، حديث رقم: 154، 134/1.

[2] تفسير ابن كثير، 170/1.

وأما ما أستند إليه ابن كثير في ترجيحه هو قول مجاهد فيما رواه عن الثوري حيث قال رحمه الله: "... عن مجاهد. ورواه غير واحد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين، فهذه الآيات الأربع عامة في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي، وكتابي من إنسي وجني، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها، فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وما جاء به من قبله من الرسل والإيقان بالآخرة، كما أن هذا لا يصح إلا بذاك"[1].

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين

- ✓ استند ابن جرير على صحة ما قال إلا بمناسبة، وهي أن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين: منافق وكافر، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى عربي وكتابي[2].
- ✓ استند ابن كثير في القول الذي اختاره هو قول مجاهد فيما رواه عن الثوري.

[1] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 171/1.

[2] المصدر نفسه، 170/1.

المطلب الثاني: الترجيح بالعموم في القرآن في بيان معنى (العهد) في قوله تعالى﴿ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ

﴾ [البقرة: 27]

اختلف أهل التفسير في معنى العهد المأخوذ في الآية فذهب الطبري إلى أن الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذي ن كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل، ومن كان على شركه من أهل النفاق، بينما يرى الواحدي أن العهد ما أخذه على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم.

الفرع الأول: قول الامام الطبري:

قال الطبري : "اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذي وصف الل هؤلاء الفاسقين بنقضه[1] :

فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته، في كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقضهم ذلك، تركهم العمل به.

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 410/1.

وقال آخرون :إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله" :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ **[البقرة: 06]**، وبقوله :﴿ الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ أَعُوذُ بِاللَّهِ ﴾ **[البقرة: 08]**

وقال بعضهم :إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق .وعهده إلى جميعهم في توحيده.

وقال آخرون: العهد الذي ذكره الل جل ذكره، هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم.

أولًا: ما رجحه الإمام الطبري:

قال الامام الطبري: "وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: إن هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل، ومن كان على شركه من أهل النفاق"[1].

ثانيًا: سبب الترجيح:

استند الإمام الطبري رحمه الله فيما ما ذهب إليه من رأي بقوله: "وقد دللنا على أن قول الله جل ثناؤه:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ ، وقوله:﴿ الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ أَعُوذُ بِاللَّهِ ﴾ ، فيهم أنزِلت، وفي من كان على مثل الذي هم عليه من الشرك بالله. غيرَ أن هذه الآيات عندي، وإن كانت فيهم نزلتْ، فإنه معنيٌّ بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضّلال، ومعنيٌّ بما وافق منها صفة المنافقين خاصّةً، جميعُ المنافقين؛ وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود، جميعُ من كان لهم نظيرًا في كفرهم.

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 411/1.

وذلك أن الله جلّ ثناؤه يعم أحيانًا جميعَهم بالصّفة، لتقديمه ذكر جميعهم في أول الآيات التي ذكرتْ قَصَصهم، ويخصّ أحيانا بالصفة بعضَهم، لتفصيله في أول الآيات بين فريقيْهم، أعني: فريقَ المنافقين من عبدة الأوثان وأهل الشرك بالله، وفريقَ كفار أحبار اليهود. فالذين ينقضون عهدَ الله، هم التاركون ما عهد الله إليهم من الإقرار بمحمد ﷺ وبما جاء به، وتبيين نبوته للناس، الكاتمون بيان ذلك بعدَ علمهم به، وبما قد أخذَ الله عليهم في ذلك، كما قال الله جل ذكره: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **صدق الله** ﴾ [سورة آل عمران: 187] ، ونبذُهم ذلك وراء ظهورهم، هو نقضُهم العهدَ الذي عهد إليهم في التوراة الذي وصفناه، وتركُهم العمل به.

وإنما قلت: إنه عنى بهذه الآيات من قلتُ إنه عنى بها، لأن الآيات – من مبتدأ الآيات الخمس والست من سورة البقرة – فيهم نزلتْ، إلى تمام قصصهم.

وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم وبيانِهِ في قوله. ٱلٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّـَٔةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِ

الفرع الثاني: قول الامام الواحدي*:

قال الإمام الواحدي في تفسير قوله تعالى: (**وبعهد الله**): "وذكر المفسرون فِي العهد المذكور فِي هذه الآية قولين:

أحدهما: ما أخذوه على النبيين ومن اتبعهم، أن لا يكفروا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك قوله تعالى: ﴿ الٓمٓرٰ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ اِنَّآ اَنْزَلْنٰهُ قُرْءٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْاٰنَ ﴾ [آل عمران: 81].

والثاني: أن يكون عهد الله الذي أخذه من بني آدم يوم الميثاق حين قال: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[الأعراف: 172] ثم مجدوا ونقضوا ذلك العهد فِي حال كمال عقولهم.

وذكر أبو إسحاق للعهد المذكور في هذه الآية وجهين أحدهما: ما أخذه على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بالنبي ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿ الٓمٓرٰ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ اِنَّآ اَنْزَلْنٰهُ قُرْءٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْاٰنَ ﴾ [آل عمران: 81]".

أولًا: ما رجحه الإمام الواحدي

رجح الإمام الواحدي المقصود بالعهد في الآية هو ما أخذوه الله على النبيين ومن اتبعهم، أن لا يكفروا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* الواحدي: هو على بن أحمد الواحدىّ أبو الحسين الإمام المصنف، المفسر النحوىّ. أستاذ عصره. قرأ الحديث على المشايخ وأدرك الإسناد العالى، وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده.

وصنف التفسير الكبير، وسماه البسيط، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية. وصنف الوسيط فى التفسير أيضا، وهو مختار من البسيط أيضا، غاية فى بابه. وصنف الوجيز وهو عجيب، وصنف شرح ديوان المتنبى وهو غاية فى بابه. ومرض مرضة غير طويلة، ومات بنيسابور فى سنة ثمان وستين وأربعمائة. ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 2/223-224.

قال الواحدي: "يجوز أن يكون عهد الله الذي أخذه من بين آدم من ظهورهم يوم الميثاق حين قال: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[الأعراف: 172] ثم جحدوا ونقضوا ذلك العهد في حال كمال عقولهم.

والوجه الأول أصحهما"[1].

ثانيًا: سبب الترجيح

وقد استدل الإمام الواحدي لما ذهب إليه بقوله: "من قبل أن الله لا يحتج عليهم بما لا يعرفون، لأنه بمنزلة ما لم يكن إذا كانوا لا يشعرون به، ولا لهم دلالة عليه. والثاني مع هذه صحيح، لأنهم عرفوا ذلك العهد بخبر الصادق، فكان كما لو كانوا يشعرون به"[2].

الفرع الثاني: توجيه قول الإمامين

- ✓ الآية عامة ولم تأتي قرينة تصرفها عن ذلك العموم فتحمل على الأصل في كل عهد.
- ✓ الذم متجه إلى كل ناقص هو الأولى بتفسير الآية والأشد موافقة لألفاظها.
- ✓ متى كانت الألفاظ عامة وجب الحمل على العموم حتى يرد نص بالتخصيص، وعليه يكون توجيه كلا المفسرين داخلا في تفسير معنى العهد فالآية تحتمل كل ما سبق ذكره.

[1] الواحدي، التفسير البسيط، 284/2.

[2] المصدر نفسه، 284/2.

المطلب الثالث: الترجيح بالتقدير وعدمه في معنى "ما" في قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾

[البقرة: 102]

اختلف أهل التفسير في معنى "ما" هل هي نافية أم موصولية زائدة، يرجح الإمام ابن جرير أن " ما "في قوله تعالى: "وما أنزل على الملكين "زائدة بمعنى الذي، ويرى الحافظ ابن كثير أنها جازمة، ووصف قول ابن جرير بأنه غريب جدا!.

الفرع الأول: قول ابن جرير

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾[البقرة: 102]: " اختلف أهل العلم في تأويل"ما" التي في قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾[1].

فقال بعضهم: معناه الجحد، وهي بمعنى"لم".

وقال آخرون: بل تأويل"ما" التي في قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ -"الذي".

وقال آخرون: معنى"ما" معنى"الذي"، وهي عطف على"ما" الأولى. غير أن الأولى في معنى السحر، والآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه.

وقال آخرون: جائز أن تكون"ما" بمعنى"الذي"، وجائز أن تكون"ما" بمعنى"لم".

أولًا: ما رجحه ابن جرير

يرجح الإمام ابن جرير أن " ما" في قوله تعالى:" وما أنزل على الملكين" زائدة بمعنى الذي قال الطبري رحمه الله: "والصواب من القول في ذلك عندي، قول من وجه"ما" التي في قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ إلى معنى"الذي"، دون معنى"ما" التي هي بمعنى الجحد"[2].

ثانيًا: سبب ترجيح ابن جرير

علل ابن جرير رحمه الله اختياره بقوله: "وانما اخترت ذلك، من أجل أن"ما" إن وجهت إلى معنى الجحد، تنفي عن"الملكين" أن يكونا منزلا إليهما، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما – أعني ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ – من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما أو بدلا

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 419/2.

[2] المصدر نفسه، 424/2.

من"الناس" في قوله:"يعلمون الناس السحر"، وترجمة عنهما. فإن جعلا بدلا من"الملكين" وترجمة عنهما، بطل معنى قوله:﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴾ [البقرة: 102]. لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه، فما الذي يتعلم منهما من يفرق بين المرء وزوجه؟

وبعد، فإن"ما" التي في قوله: ﴿ ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ، إن كانت في معنى الجحد عطفا على قوله:﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 102]، فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله:﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ ، عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه. فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه – وهاروت وماروت هما الملكان – فمن المتعلم منه إذا ما يفرق به بين المرء وزوجه؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله:﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ﴾ إن خطأ هذا القول لواضح بين"[1].

الفرع الثاني: قول ابن كثير

قال ابن كثير:" اختلف الناس في هذا المقام: فذهب بعضهم إلى أن "ما" نافية. وذهب بعضهم إلى أن "ما" بمعنى الذي"[2].

أولًا: ما رجحه ابن كثير

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 2/424-425.

[2] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 1/350-.352.

رجح الإمام ابن كثير أن " ما" في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ أنها جازمة، ووصف قول ابن جرير بأنه غريب جدا!"[1].

ثانيًا: سبب الترجيح

قال ابن كثير: ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول، وأن" ما "بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك؛ لأنهما امتثلا ما أمرا به، وهذا الذي سلكه غريب جدا"[2]

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين:

✓ ترجيح ابن جرير أن الملكين أنزلهما الله إبتلاءا واختبارا، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ **[البقرة: 249]** وكذلك فتنة المسيح الدجال التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم

✓ هذه فتنة من الله لعباده يميز بها بين الخبيث والطيب .

✓ الآثار التي أوردها ابن كثير في القوليين كلها لاتصح.

المطلب الرابع: الترجيح بالأغلب من لغة العرب في معنى (وَاهْجُرُوهُنَّ) في قوله تعالى ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النساء: 34]

الفرع الأول: قول الامام ابن جرير الطبري:

[1] المصدر نفسه، 352/1.

[2] المصدر نفسه، 352/1.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[1]: "اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معنى ذلك: فعظوهن في نشوزهن عليكم، أيها الأزواج، فإن أبينَ مراجعة الحقّ في ذلك والواجب عليهن لكم، فاهجروهن بترك جماعهنَ في مضاجعتكم إياهن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: واهجروا كلامَهن في تركهن مضاجعتكم،حتى يرجعن إلى مضاجعتكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا تقربوهن في فرشهن، حتى يرجعن إلى ما تحبّون.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، قولوا لهن من القول هُجْرًا في تركهنّ مضاجعتكم.

أولًا: ما رجحه ابن جرير الطبري

بعدما سرد الإمام الطبري بعض الأحاديث والآثار قال: "فإذ كان في كلّ هذه المعاني ما ذكرنا من الخلل اللاحق، فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله: "واهجروهن"، موجَّهًا معناه إلى معنى الرّبط بالهجار، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا:"هَجَره فهو يهجره هجْرًا"[2].

وقال في موقع آخر: " فكلّ هؤلاء الذين ذكرنا قولهم: لم يوجبوا للهجر معنى غير الضرب"[3].

ثانيًا: سبب الترجيح

استند رحمه الله في ما ذهب إليه من ترجيح إلى ما تعودت عليه العرب من كلام حيث قال[4]: "ولا معنى ل"الهجر" في كلام العرب إلا على أحد ثلاثة أوجه.

---

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 302/8.

[2] المصدر نفسه، 309/8.

[3] تفسير الطبري، المصدر السابق، 312/8.

[4] المصدر نفسه، 306/8.

أحدها: "هجر الرجل كلام الرجل وحديثه"، وذلك رفضه وتركه، يقال منه:"هَجر فلان أهله يهجرُها هجرًا وهجرانًا".

والآخر: الإكثار من الكلام بترديد كهيئة كلام الهازئ، يقال منه:"هجر فلانٌ في كلامه يَهْجُر هَجْرًا"، إذا هذَى ومدّد الكلمة "وما زالت تلك هِجّيراه، وإهْجِيرَاه"، ومنه قول ذي الرمة:

رَمَى فَأَخْطَأَ، وَالأَقْدَارُ غَالِبَةٌ ... فَانْصَعْنَ وَالْوَيْلُ هِجّيرَاهُ وَالْحَرَبُ

والثالث: "هَجَر البعير"، إذا ربطه صاحبه بـ "الهِجَار"، وهو حبل يُربط في حَقْويها ورُسغها، ومنه قول امرئ القيس:

رَأَتْ هَلَكًا بِنِجَافِ الْغَبِيطِ ... فَكَادَتْ تَجُدُّ لِذَاكَ الْهِجَارَا

فأما القول الذي فيه الغلظة والأذى، فإنما هو"الإهجار"، ويقال منه: "أهجر فلان في منطقه"إذا قال"الهُجْر"، وهو الفحش من الكلام "يُهْجر إهجارًا وهُجرًا".

وإذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام: واللاتي تخافون نشوزَهن فعظوهن في نشوزهن عليكم. فإن اتعظن فلا سبيل لكم عليهنّ، وإن أبين الأوْبة من نشوزهن فاستوثقوا منهنّ رباطًا في مضاجعهن يعني: في منازلهن وبُيوتهن التي يضطجعن فيها ويُضاجعن فيها أزواجهنّ.

الفرع الثاني: قول الامام ابن العربي

قال الإمام ابن العربي رحمه الله في تفسير قوله تعالى﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **[النساء: 34]**: فيه أربعة أقوال[1]:

الأول: يوليها ظهره في فراشه؛ قاله ابن عباس.

[1] ابن العربي، أحكام القرآن، 533/1.

الثاني: لا يكلمها، وإن وطئها؛ قاله عكرمة وأبو الضحى.

الثالث: لا يجمعها وإياه فراش ولا وطء حتى ترجع إلى الذي يريد.

الرابع: يكلمها ويجامعها، ولكن بقول فيه غلظ وشدة إذا قال لها تعالي.

أولًا: ما رجحه الامام ابن العربي:

القول الذي رجحه ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هو البعد. قال الإمام ابن العربي رحمه الله: " وإذا ثبت هذا، وكان مرجع الجميع إلى البعد فمعنى الآية: أبعدوهن في المضاجع"[1].

ثانيًا: سبب الترجيح:

اعتمد ابن العربي في ترجيحه و استدراكه على رأي الطبري في معنى "الهجر "على الجانب اللغوي، حيث بحث عن جذور مادة" هجر "في معاجم اللغة العربية، للوصول إلى أصل معناها عند العرب، فوجد أن معناها" :البعد"، ولذلك قال: فنظرنا في موارد " هـ ج ر " في لسان العرب على هذا النظام فوجدناها سبعة: ضد الوصل. ما لا ينبغي من القول. مجانبة الشيء، ومنه الهجرة. هذيان المريض. انتصاف النهار. الشاب الحسن. الحبل الذي يشد في حقو البعير ثم يشد في أحد رسغيه. ونظرنا في هذه الموارد فألفيناها تدور على حرف واحد وهو البعد عن الشيء فالهجر قد بعد عن الوصل الذي ينبغي من الألفة وجميل الصحبة، وما لا ينبغي من القول قد بعد عن الصواب، ومجانبة الشيء بعد منه وأخذ في جانب آخر عنه، وهذيان المريض قد بعد عن نظام الكلام، وانتصاف النهار قد بعد عن طرفيه المحمودين في اعتدال الهواء وإمكان التصرف. والشاب الحسن قد بعد عن العاب، والحبل الذي يشد به البعير قد أبعده عن استرساله في تصرفه واسترسال ما ربط عن تقلقله وتحركه.

[1] المصدر نفسه، 534/1.

وإذا ثبت هذا، وكان مرجع الجميع إلى البعد فمعنى الآية: أبعدوهن في المضاجع. ولا يحتاج إلى هذا التكلف الذي ذكره العالم، وهو لا ينبغي لمثل السدي والكلبي فكيف أن يختاره الطبري"[1].

كما استنكر ابن العربي ترجيح ابن جرير واستدرك عليه حيث قال: " يا لها هفوة من عالم بالقرآن والسنة، وإني لأعجبكم من ذلك؛ إن الذي أجرأه على هذا التأويل، ولم يرد أن يصرح بأنه أخذه منه، هو حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت أبي بكر الصديق امرأة الزبير بن العوام كانت تخرج حتى عوتب في ذلك. قال: وعتب عليها وعلى ضرتها، فعقد شعر واحدة بالأخرى، وضربهما ضربا شديدا، وكانت الضرة أحسن اتقاء، وكانت أسماء لا تتقي؛ فكان الضرب بها أكثر وآثر؛ فشكته إلى أبيها أبي بكر؛ فقال لها: أي بنية اصبري؛ فإن الزبير رجل صالح، ولعله أن يكون زوجك في الجنة، ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة.

فرأى الربط والعقد مع احتمال اللفظ مع فعل الزبير، فأقدم على هذا التفسير لذلك"[2].

ثم قال: "والذي قال: لا يكلمها وإن وطئها فصرفه نظره إلى أن جعل الأقل في الكلام، وإذا وقع الجماع فترك الكلام سخافة.....

والذي قال: يكلمها بكلام فيه غلظ إذا دعاها إلى المضجع جعله من باب ما لا ينبغي من القول. وهذا ضعيف من القول في الرأي؛ فإن الله سبحانه رفع التثريب عن الأمة إذا زنت وهو العقاب بالقول، فكيف يأمر مع ذلك بالغلظة على الحرة"[3].

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين

[1] ابن العربي، المصدر السابق، 533/1.

[2] المصدر نفسه، 533/1-534.

[3] ابن العربي، المصدر السابق، 535/1.

اعتمد ابن العربي في ترجيحه في معنى "الهجر" على الجانب اللغوي، حيث بحث عن جذور مادة "هجر" في معاجم اللغة العربية، للوصول إلى أصل معناها عند العرب، فوجد أن معناها: "البعد".

الحديث الذي استدل به ابن جرير في ترجيح ماذهب إليه: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق امرأة الزبير بن العوام كانت تخرج حتى عوتب في ذلك. قال عنه الإمام ابن العربي: " حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك"[1].

[1] المصدر نفسه، 533/1.

المبحث الثالث: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني والإجماع.

إن ربانية المصدر القرآني تجعله أساسا في أساليب البيان ومرجعا في أساسيات النحو على الرغم من وجود التخاطب العربي قبل نزوله، كما أن الإجماع الشرعي المثبت بالنص قطعي في دلالته، لذا نجد أن المفسرين قد اعتنوا بهما، وفي المبحث سأتطرق إلى نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني والإجماع وذلك ضمن خمسة مطالب كالآتي:

المطلب الأول : الترجيح بظاهر القرآن في بيان المقصود بـ"الأسماء كلها" في قوله تعالى:

﴿ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ **[البقرة: 31]**

المطلب الثاني: الترجيح بالإجماع في بيان المراد بـ:(الطول) في قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ **[النساء: 25]**

المطلب الثالث: الترجيح بالسياق القرآني من خلال استنباط الحكم الشرعي المترتب عن العطف في قوله تعالى: ﴿العظيم بِسۡــــــــ﴾ **[المائدة: 6]**

المطلب الرابع: الترجيح بالسياق القرآني لبيان معنى (يوم عقيم) في قوله تعالى: ﴿ المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير ﴾ **[الحج: 55]**

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق القرآني لبيان معنى (عَسْعَسَ) في قوله تعالى: ﴿ المائدة الأنعام الأعراف ﴾ **[التكوير: 17]**

المطلب الأول : الترجيح بظاهر القرآن في بيان المقصود بـ"الأسماء كلها" في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُمَّ ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ [البقرة: 31]

إنّ القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين لذا كانت أغلب معانيه مجسدة في ظاهر ألفاظه من غير تأول، وعليه جعل الحكم بظاهر القرآن من القواعد الترجيحية، وفي هذا المطلب سنبين أنموذجا من ذلك.

الفرع الأول: قول ابن جرير رحمه الله:

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ [1]: "اختلف أهل التأويل في الأسماء التي علمها آدمَ ثم عَرضها على الملائكة:

فقال ابن عباس علم الله آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسانٌ ودابة، وأرض وَسهل وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وقال آخرون: علم آدم الأسماء كلها، أسماء الملائكة.

وقال آخرون: إنما علمه أسماء ذريته كلها.

أولًا: ما رجحه ابن جرير رحمه الله:

رجح ابن جرير أن الذي تعلمه آدم عليه الصلاة والسلام أسماء ذريته وأسماء الملائكة قال رحمه الله: "وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال في قوله: ﴿ ٱللَّهُمَّ ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ إنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق"[2].

ثانيًا: سبب الترجيح:

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 482/1.

[2] المصدر نفسه، 485/1.

واستدل الإمام الطبري رحمه الله فيما ذهب إليه بقوله: "...وذلك أن الله جل ثناؤه قال: ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ ، يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم. ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة. وأما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفناها، فإنها تكني عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون، فقالت: "عرضهن" أو"عرضها"، وكذلك تفعل إذا كنت عن أصناف من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماء بني آدم والملائكة، فإنها تكنى عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف. وربما كنت عنها، إذا كان كذلك بالهاء والميم، كما قال جل ثناؤه: ﴿ ٱلرَّجِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ ﴾ **[النور: 45]** ، فكنى عنها بالهاء والميم، وهي أصناف مختلفة فيها الآدمي وغيره.

وذلك، وان كان جائزا، فإن الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا، من إخراجهم كناية أسماء أجناس الأمم – إذا اختلطت – بالهاء والألف أو الهاء والنون. فلذلك قلت: أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة، وان كان ما قال ابن عباس جائزا على مثال ما جاء في كتاب الله من قوله: ﴿ ٱلرَّجِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾[1].

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 485/1.

الفرع الثاني: قول ابن كثير

قال ابن كثير عند ذكره لقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ [1]: "وقال السدي، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ قال: عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وسماء، وأرض، وسهل، وبحر، وجمل ، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير، من حديث عاصم بن كليب، عن سعيد بن معبد، عن ابن عباس: ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ قال: علمه اسم الصحفة والقدر، قال: نعم حتى الفسوة والفسية .

وقال مجاهد: ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ قال: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء.

وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف: أنه علمه أسماء كل شيء، وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي: أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم[2].

أولًا: ما رجحه ابن كثير

[1] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 222/1.

[2] المصدر نفسه، 223/1.

يرى ابن كثير أنه تعلم أسماء كل شيء، قال ابن كثير: "والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية. يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر"[1].

ثانيًا: سبب ترجيح ابن كثير:

بعدما ذكر حديث الشفاعة[2] قال ابن كثير: " ووجه إيراده هاهنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام: "فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء"، فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات؛ ولهذا قال: ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ يعني: المسميات؛ كما قال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة..."[3].

قال ابن كثير مستدركا على ترجيح ابن جرير: "اختار ابن جرير "أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية" دون أسماء سائر أجناس الخلق" لأنه قال ثم عرضهم. وهذا عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن

---

[1] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 223/1.

[2] عن النبي ﷺ، قال: " يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي، فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه [ص:18] فيقول: لست هناكم، ائتوا موسى، عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحي من ربه، فيقول: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيقول: لست هناكم، ائتوا مُحَمَّدا ﷺ، عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطه، وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة، فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود ". رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله: {وعلم آدم الأسماء كلها} [البقرة: 31]، حديث رقم: 4476، 17/6.

[3] المصدر نفسه، 224/1.

الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ

ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ [النور:45] .

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين:

- ✓ رجح ابن جرير رحمه الله ان المقصود أسماء ذريته وأسماء الملائكة فقط، وذلك استنادا لما تعارف عنه العرب من الكلام حيث قال: " ان المقصود أسماء ذريته وأسماء الملائكة فقط".
- ✓ وقال الطبري: " ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة. وأما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفناها، فإنها تكني عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون".
- ✓ رجح ابن كثير رحمه الله أن المقصود بالأسماء كلها أنها أسماء كل شيء قال رحمه الله: "والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية. يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر" مستند في ذلك على قول ابن عباس ﷺ و ما روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف: أنه علمه أسماء كل شيء.
- ✓ سياق الآيات يدل على إظهار عظمة المعلِم وهو الله تعالى، وكذلك المعلَم وهو آدم عليه الصلاة والسلام، فالعموم يوافق هذه العظمة، ثم إن لفظة "كل" من صيغ العموم، وكذلك " أل" الإستغراقية من ألفاظ العموم فيبقى العموم على أصله.

المطلب الثاني: الترجيح بالإجماع في بيان المراد بـ:(الطول) في قوله تعالى: ﴿ ﴾

﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ [النساء: 25]

من خصائص الأمة المحمدية امتناع اجتماعها على غير الهدى والصواب، لذا عدّ المفسرون الإجماع من قواعد الترجيح التي يعضد بها القول عند الاختلاف وفي هذا المطلب سنبين أنموذجا من ذلك.

الفرع الأول: قول الإمام الطبري

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى:"الطول" الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية[1].

فقال بعضهم: هو الفضل والمال والسَّعة.

وقال آخرون: معنى"الطول"، في هذا الموضع: الهَوَى.

أولًا: ما رجحه الطبري:

رجح ابن جرير رحمه الله أن معنى الطول في الآية هو: أنه الغنى والسعة.

قال أبو جعفر: "وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: معنى"الطَّوْل" في هذا الموضع، السعة والغنى من المال"[2].

ثانيًا: سبب الترجيح:

استدل ابن جرير رحمه الله في صحة ما ذهب إليه من ترجيح بالإجماع حيث قال: "...لإجماع الجميع على أن الله تبارك وتعالى لم يحرِّم شيئًا من الأشياء سوى نكاح الإماء لواجد الطول إلى الحرة فأحلَّ ما حرم من ذلك عند غلبة المحرَّم عليه له، لقضاء لذة. فإذْ كان ذلك إجماعًا من الجميع فيما عدا نكاح الإماء لواجد الطول، فمثله في التحريم نكاح الإماء لواجد الطول: لا يُحَلُّ له من أجل غلبة هوًى عنده فيها، لأن ذلك مع وجوده الطولَ إلى الحرة منه قضاء لذة وشهوة، وليس بموضع ضرورة ترفع برخصة،كالميتة للمضطر الذي يخاف هلاك نفسه، فيترخص في أكلها ليحيي بها نفسَه، وما أشبه ذلك من المحرمات اللواتي رخص

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 182/8.

[2] المصدر نفسه، 184/8.

الله لعباده في حال الضرورة والخوف على أنفسهم الهلاكَ منه، ما حرم عليهم منها في غيرها من الأحوال. ولم يرخص الله تبارك وتعالى لعبدٍ في حرام لقضاء لذة. وفي إجماع الجميع على أن رجلا لو غلبَه هوى امرأة حرّة أو أمة، أنها لا تحل له إلا بنكاح أو شراء على ما أذن الله به، ما يوضّح فساد قول من قال:"معنى الطول، في هذا الموضع: الهوى"، وأجاز لواجد الطول لحرة نكاحَ الإماء"[1].

ثم قال رحمه الله: "...فتأويل الآية إذ كان الأمر على ما وصفنا: ومن لم يجد منكم سعة من مالٍ لنكاح الحرائر، فلينكح مما ملكت أيمانكم"[2].

الفرع الثاني: قول ابن عاشور*

قال ابن عاشور رحمه الله: "عطف قوله: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ على قوله: ﴿صدق الله العظيم بسم الله الرحمن﴾ [النساء: 24] تخصيصا لعمومه بغير الإماء، وتقييدا لإطلاقه باستطاعة الطول.

والطول- بفتح الطاء وسكون الواو- القدرة، وهو مصدر طال المجازي بمعنى قدر، وذلك أن الطول يستلزم المقدرة على المناولة فلذلك يقولون: تطاول لكذا، أي تمطى ليأخذه، ثم قالوا: تطاول، بمعنى تكلف المقدرة «وأين الثريا من يد المتطاول» فجعلوا لطال الحقيقي مصدرا-

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 185/1.

[2] المصدر نفسه، 184/8-185.

* ابن عاشور: (1296 - 1393 هـ / 1879 - 1973 م) هو مُحَمَّد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجلات. ينظر: الأعلام، الزركلي، 174/6.

بضم الطاء- وجعلوا لطال المجازي مصدرا- بفتح الطاء- وهو مما فرقت فيه العرب بين المعنيين المشتركين[1].

أولًا: ما رجحه ابن عاشور:

رجح الامام ابن عاشور أنى معنى الطول في الآية هو بذل المهر، حيث يقول: "وظاهر الآية أن الطول هنا هو القدرة على بذل مهر لامرأة حرة احتاج لتزوجها: أولى، أو ثانية، أو ثالثة، أو رابعة[2].

ثانيًا: سبب الترجيح عند ابن عاشور:

قال ابن عاشور في سبب ترجيحه: "لأن الله ذكر عدم استطاعة الطول في مقابلة قوله:

﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ﴾ [النساء: 24] ﴿الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [النساء: 24] ولذلك كان هذا الأصح في تفسير الطول. وهو قول مالك، وقاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والسدي، وجابر بن زيد.

وذهب أبو حنيفة إلى أن من كانت له زوجة واحدة فهي طول فلا يباح له تزوج الإماء لأنه طالب شهوة إذ كانت عنده امرأة تعفه عن الزنا. ووقع لمالك ما يقرب من هذا في كتاب مُحَمَّد بن المواز، وهو قول ابن حبيب، واستحسنه اللخمي والطبري، وهو تضييق لا يناسب يسر الإسلام على أن الحاجة إلى امرأة ثانية قد لا يكون لشهوة بل لحاجة لا تسدها امرأة واحدة، فتعين الرجوع إلى طلب التزوج، ووجود المقدرة"[3].

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/5.

[2] المصدر نفسه، 12/5.

[3] المصدر نفسه، 13/5.

- ✓ نقل الإمام الطبري إجماع مفاده أن من كانت له زوجة واحدة فهي طول فلا يباح له تزوج الإماء لأنه طالب شهوة إذ كانت عنده امرأة تعفه عن الزنا، حيث قال: " لأن ذلك مع وجوده الطولَ إلى الحرة منه قضاء لذة وشهوة، وليس بموضع ضرورة ترفع برخصة".
- ✓ استند ابن عاشور في ترجيحه إلى مرجحين:

الأول: الإجماع و قول الجمهور والموافقة للمعنى اللغوي.

الثاني: وظاهر القرآن، حيث قال: " وظاهر الآية أن الطول هنا هو القدرة على بذل مهر لامرأة حرة احتاج لتزوجها".

- ✓ استدرك ابن عاشور على ترجيح الطبري بقوله: " وهو تضييق لا يناسب يسر الإسلام على أن الحاجة إلى امرأة ثانية قد لا يكون لشهوة بل لحاجة لا تسدها امرأة واحدة، فتعين الرجوع إلى طلب التزوج، ووجود المقدرة.

المطلب الثالث: الترجيح بالسياق القرآني من خلال استنباط الحكم الشرعي المترتب عن العطف في قوله تعالى: ﴿العظيم بِسْـــــــمِ﴾[المائدة: 6]

إن نظم الكلام العربي يقتضي مراعاة سياقه من أجل فهم اللفظ وتحديد دلالته ، ومعهود الخطاب القرآني لا يخرج عن ذلك لذا كان من قواعد الترجيح عند المفسرين قرينة السياق وفي هذا المطلب سنبين أنموذجا من ذلك.

الفرع الأول: قول الطبري

قال الامام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿العظيم بِسْـــــــمِ﴾[1]:

اختلفت القرأة في قراءة ذلك.

فقرأه جماعة من قراء الحجاز والعراق: ﴿العظيم بِسْـــــــمِ﴾، نصبًا، فتأويله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديَكم إلى المرافق وأرجلَكم إلى الكعبين، وامسحوا برءوسكم وإذا قرئ كذلك، كان من المؤخر الذي معناه التقديم، وتكون "الأرجل" منصوبة عطفا على "الأيدي". وتأول قارئو ذلك كذلك، أن الله جل ثناؤه: إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها[2].

وقرأ ذلك آخرون من قراء الحجاز والعراق: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ) بخفض "الأرجل". وتأول قارئو ذلك كذلك: أنّ الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها، وجعلوا "الأرجل" عطفا على"الرأس"، فخفضوها لذلك[3].

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 52/10.

[2] المصدر نفسه، 52/10.

[3] المصدر نفسه، 57/10-58

أولًا: ما رجحه الإمام الطبري

رجح ابن جرير أن تفسير قوله تعالى ﴿العظيم بِرُءُوسِكُمْ﴾ يحتمل الغسل والمسح، قال رحمه الله: " والصواب من القول عندنا في ذلك، أن الله عزّ ذكره أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم"[1].

ثانيًا: سبب الترجيح:

قال ابن جرير في سبب ترجيحه: " أنه إذا فعل ذلك بهما المتوضئ، كان مستحقًّا اسم"ماسحٍ غاسلٍ"، لأن"غسلهما" إمرار الماء عليهما أو إصابتهما بالماء. و"مسحهما"، إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما. فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو"غاسل ماسح".

ولذلك من احتمال"المسح" المعنيين اللذين وصفتُ من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع. اختلفت قراءة القراء في قوله﴿العظيم ﴾ فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما الغسل وإنكارًا منه المسح عليهما، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بعموم مسحهما بالماء. وخفضها بعضهم، توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح.

ثم قال رحمه الله: "ولما قلنا في تأويل ذلك إنه معنّي به عموم مسح الرجلين بالماء كره من كره للمتوضئ الاجتزاءَ بإدخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده، أو بما قام مقام اليد، توجيها منه قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ صدقالله العظيم بِرُءُوسِكُمْ﴾ إلى مسح جميعهما عامًّا باليد، أو بما قام مقام اليد، دون بعضهما مع غسلهما بالماء"[2].

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 61/10.

[2] المصدر نفسه، 62/10.

الفرع الثاني: قول الإمام الواحدي

قال الإمام الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿العظيم بِرَءُوسِكُمْ﴾ في الأرجل قراءتان[1]: النصب والخفض.

أما النصب فهو ظاهر؛ لأنه عطف على المغسول، لوجوب غسل الرجلين بإجماع، لا يقدح فيه قول من خالف.

وأما الكسر فقد اختلفوا في وجهه: فقال أبو حاتم وابن الأنباري وأبو علي: الكسر بالعطف على الممسوح، غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل. روي ذلك عن أبي زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل. قالوا: تمسّحت للصلاة، وهات ما أتمسّح به للصلاة في معنى: أتوضأ.

قال أبو حاتم: وذلك أن المتوضئ لا يرضى بصبّ الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل، فسمي الغسل مسحًا.

فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان؛ لأن المسح في أحدهما وهو الرأس، دون المسح في الرجل.

أولًا: ما رجحه الواحدي:

رجح الإمام الواحدي أن العطف في قوله تعالى وأرجلكم معطوفة على المغسول حيث قال: "أما النصب فهو ظاهر؛ لأنه عطف على المغسول، لوجوب غسل الرجلين بإجماع، لا يقدح فيه قول من خالف"[2].

ثانيًا: سبب الترجيح:

استدل الإمام الواحدي لما ذهب إليه من ترجيح بقوله: "والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل: ذكر التحديد وهو قوله تعالى: ﴿ بِرَءُوسِكُمْ﴾ والتحديد إنما

[1] الواحدي، التفسير البسيط، 281/7.

[2] المصدر نفسه، 281/7.

جاء في المغسول، ولم يجيء في الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد[1].

فإن قيل: إن كان المراد بالمسح الغَسل فهلا عطفت على المغسول فيكون أظهر في إيجاب الغسل؟

قيل: إن من قرأ بالكسر وجد في الكلام عاملين، أحدهما: الغسل والآخر الباء الجارة، ووجد العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن يحمل على الأقرب منهما دون الأبعد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر ﴾ [الجن: 7]، ونحو قوله تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [النساء: 176]، ونحو قوله تعالى: ﴿ الكهف فرزين طه ﴾ [الحاقة: 19]، وقوله تعالى: ﴿ الفيل قريش الماعون الكوثر ﴾ [الكهف: 96]، فلما رأى العاملين إذا اجتمعا حُمِل الكلام على أقربهما إلى المعمول حمل في هذه الآية أيضاً على أقربهما وهو الباء، ولم يُخَف الالتباس لشيوع الغسل في الآثار، وقيام الدلالة على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل[2].

وقال ابن العربي*: واختار الطبري التخيير بين الغسل والمسح، وجعل القراءتين كالروايتين في الخبر يعمل بهما إذا لم يتناقضا.

---

[1] الواحدي، المصدر السابق، 282/7.

[2] المصدر نفسه، 282/7-283.

* ابن العربي: (468 - 453 هـ = 1076 - 1148 م): هو مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. من كتبه: العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، أحكام القرآن ، القبس في شرح موطأ ابن أنس، الإنصاف في مسائل الخلاف ، و أعيان الأعيان والمحصول في أصول الفقه ...ينظر: الأعلام للزركلي: 230/6.

وقال: "وجملة القول في ذلك أن الله سبحانه عطف الرجلين على الرأس، فقد ينصب على خلاف إعراب الرأس أو يخفض مثله؛ والقرآن نزل بلغة العرب، وأصحابه رءوسهم وعلماؤهم لغة وشرعا.

وقد اختلفوا في ذلك؛ فدل على أن المسألة محتملة لغة محتملة شرعا، لكن تعضد حالة النصب على حالة الخفض بأن النبي – ﷺ – غسل وما مسح قط، وبأنه رأى قوما تلوح أعقابهم، فقال: «**ويل للأعقاب من النار**»[1]، «**ويل للعراقيب من النار**»[2]. فتوعد بالنار على ترك إيعاب غسل الرجلين؛ فدل ذلك على الوجوب بلا خلاف، وتبين أن من قال إن الرجلين ممسوحتان لم يعلم بوعيد النبي – ﷺ – على ترك إيعابهما"[3].

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين

- ✓ رجح ابن جرير أن تفسير قوله تعالى ﴿العظيم بِسْمِ﴾ يحتمل الغسل والمسح، وذلك أن الله عزّ ذكره أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم.
- ✓ اعتمد الواحدي في ترجيحه على السياق، قال رحمه الله: "والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل: ذكر التحديد وهو قوله تعالى: ﴿بِسْمِ﴾ والتحديد إنما جاء في المغسول، ولم يجيء في الممسوح".
- ✓ استدرك الإمام ابن العربي على ترجيح ابن جرير باللغة وبما ثبت على النبي من الوعيد قال الإمام ابن العربي: "تعضد حالة النصب على حالة الخفض بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – غسل وما مسح قط، وبأنه رأى قوما تلوح أعقابهم، فقال: «ويل للأعقاب من النار» ،

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من رفع صوته بالعلم، حديث رقم: 60، 22/1.
[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، حديث رقم: 242، 214/1.
[3] ابن العربي، المصدر السابق، 71/2.

«ويل للعراقيب من النار» . فتوعد بالنار على ترك إيعاب غسل الرجلين؛ فدل ذلك على الوجوب بلا خلاف".

المطلب الرابع: الترجيح بالسياق القرآني لبيان معنى (يوم عقيم) في قوله تعالى:

﴿ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ [الحج: 55]

اختلف أهل التفسير في معنى يوم عقيم، فيرجح الإمام ابن جرير أن قوله تعالى" أو يأتيهم عذاب يوم عقيم"، يوم بدر، ويرجح الحافظ ابن كثير أنها يوم القيامة.

الفرع الأول: قول الإمام الطبري:

قال ابن جرير في تفسير معنى يوم عقيم: واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أيّ يوم هو؟ فقال بعضهم[1]:

هو يوم القيامة.

وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم، أنهم لم ينظروا إلى الليل، فكان لهم عقيما.

أولًا: القول الراجح عنده

رجح الأمام الطبري أن اليوم العقيم هو يوم بدر، قال رحمه الله: "وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية"[2].

ثانيًا: سبب الترجيح

واستدل ابن جرير لما ذهب إليه من ترجيح بقوله: "...لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا. في معناه[3].

---

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 671/18.

[2] المصدر نفسه، 672/18.

[3] المصدر نفسه، 672/118.

الفرع الثاني: قول الإمام ابن كثير:

قال ابن كثير في معنى اليوم العقيم: "قال مجاهد: قال أبي بن كعب: هو يوم بدر، وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة وغير واحد. واختاره ابن جرير.

وقال عكرمة، ومجاهد في رواية عنهما: هو يوم القيامة لا ليلة له. وكذا قال الضحاك، والحسن البصري[1].

أولًا: القول الراجح عنده:

رجح الإمام ابن كثير القول الثاني أي أن يوم عقيم هو يوم القيامة.

قال ابن كثير بعدما أورد قول عكرمة ومجاهد والضحاك والحسن البصري: " وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به، لكن هذا هو المراد"[2].

ثانيًا: سبب الترجيح:

استدرك ابن كثير بمناسبة السياق حيث قال: "لأنه قال ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ **[الحج: 56]** ، كقوله ﴿ صدق الله العظيم ﴾ **[الفاتحة: 04]** وقوله: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاء المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة ﴾ **[الفرقان: 26]** .

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين

✓ الامام الطبري رجح ما ذهب إليه استنادا إلى اللغة فقال: "... لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم

[1] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 446/5.

[2] المصدر نفسه، 446/5.

القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له"[1].

✓ الامام ابن كثير رجح ما ذهب إليه بملاءمة السياق وما أتى بعدها من الآيات.

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق القرآني لبيان معنى (عَسْعَسَ) في قوله تعالى:

﴿ المَائِدَة الأنعَام الأعرَاف ﴾ [التكوير: 17]

اختلف أهل التفسير في معنى عسعس فيرجح الإمام ابن جرير في لفظة" عسعس " أنها تعنى الإدبار، ويرى الحافظ ابن كثير أنها تعنى الإقبال.

الفرع الأول: قول الإمام الطبري

قال ابن جرير رحمه الله: " واختلف أهل التأويل في قوله: ﴿ المَائِدَة الأنعَام الأعرَاف ﴾ فقال بعضهم[2]: عُنِيَ بقوله: ﴿ الأنعَام الأعرَاف ﴾ إذا أدبر.

وقال آخرون: عُني بقوله: ﴿ الأنعَام الأعرَاف ﴾ إذا أقبل بظلامه.

أولًا: ما رجحه الإمام الطبري:

رجح الإمام الطبري رحمه الله معنى عسعس في قوله تعالى والليل إذا عسعس أنه بمعنى أدبر، قال رحمه الله: "وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر"[3].

ثانيًا: سبب الترجيح:

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق ، 672/118.

[2] تفسير الطبري، المصدر السابق، 255/24.

[3] المصدر نفسه، 257/24.

وقد استدل ابن جرير رحمه الله فيما ذهب إليه من ترجيح بمناسبة السياق حيث قال رحمه الله: "وذلك لقوله: ﴿ٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ **[التكوير:18]** فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلا والعرب تقول: عسعس الليل، وسَعْسَع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير؛ ومن ذلك قول رُؤْبة بن العجاج:

يا هِنْدُ ما أسْرَعَ ما تَسَعْسَعا ... وَلَوْ رَجا تَبْعَ الصِّبا تَتَبَّعا

فهذه لغة من قال: سعسع؛ وأما لغة من قال: عسعس، فقول علقمة بن قُرْط:

حتى إذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسا ... وانْجابَ عَنْها لَيْلُها وَعَسْعَسا

يعني أدبر. وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب، يزعم أن عسعس: دنا من أوّله وأظلم. وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا:

عَسْعَسَ حتى لَوْ يشاءُ إدَّنا ... كانَ لَه مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبَسُ

يقول: لو يشاء إذ دنا، ولكنه أدغم الذال في الدال، قال الفراء: فكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع"[1].

الفرع الثاني: قول ابن كثير:

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْمَآئِدَةِ الْأَنْعَٰمِ الْأَعْرَافِ﴾[2]: "فيه قولان:

أحدهما: إقباله بظلامه. قال مجاهد: أظلم. وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ. وقال الحسن البصري: إذا غشى الناس. وكذا قال عطية العوفي.

[1] تفسير الطبري، المصدر السابق، 257/24.

[2] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 337/8.

وقال علي بن أبي طلحة، والعوفي عن ابن عباس: ﴿ الأنعام الأعراف ﴾ إذا أدبر.

وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وكذا قال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿ الأنعام الأعراف ﴾ أي: إذا ذهب فتولى.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خرج علينا علي، ﷺ، حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال: أين السائلون عن الوتر: ﴿ المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود ﴾؟ هذا حين أدبر حسن.

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿ الأنعام الأعراف ﴾ إذا أدبر. قال لقوله: ﴿ التوبة يونس هود ﴾ أي: أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضا:

حتى إذا الصبح له تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا ...

أي: أدبر.

أولًا: ما رجحه الإمام ابن كثير:

رجح ابن كثير معنى عسعس في قوله تعالى: ﴿ المائدة الأنعام الأعراف ﴾ أنها بمعنى أقبل: قال رحمه الله: "وعندي أن المراد بقوله: ﴿ الأعراف ﴾ إذا أقبل"[1].

ثانيًا: سبب الترجيح:

سبب ترجيح ابن كثير هو المناسبة لسياق الآية، حيث قال: "وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال: ﴿ يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر

[1] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 338/8.

﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الليل: 1، 2] ، وقال: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [الضحى: 1، 2] ، وقال ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ ﴾ **[الأنعام: 96]** ، وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة "عسعس" تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن "عسعس": دنا من أوله وأظلم.

وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا:

عسعس حتى لو يشاء ادنا ... كان له من ضوئه مقبس ...

يريد: لو يشاء إذ دنا، أدغم الذال في الدال. وقال الفراء: وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع"[1].

الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين:

- ✓ القولان صائبان ويدلان على نفس المعنى لأن كلمة "عسعس" من كلمات التضاد التى تدل على معنيين متضادين.

قال أبو إسحاق بن السري: "عسعس الليل إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر. قال: والمعنيان يرجعان إلى أصل واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره"[2].

- ✓ قول ابن كثير يبدو أقرب دلالة من الذي قبله، حيث فيه الإقسام بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق.

[1] تفسير ابن كثير، المصدر السابق، 338/8.

[2] الأزهري، تهذيب اللغة، 62/1.

الخاتمـــــة

الحـمد لله الذي بنـعمته تتمّ الصَّالحات، والصّلاة والسّلام على خير البريّات؛ محمّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه الأشراف وزوجاته الطّاهرات، وبعد:

أتممتُ بفضل الله وكرمِه دراسة موضوع: " **تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين – الآليات والآثار–**"، وقد سجّلتُ في نهايته مجموعةً من النتائج التي خلصتُ إليها، مردِفةً إياها ببعض التّوصيات التي ارتأيت أنها تزيد من خدمته:

أولا– أهم النتائج

1 تنوعت صيغ الترجيح عند المفسرين منها :" الراجح– والصحيح والأظهر والأشهر والتحقيق، والأقرب والأشبه، والمتعيّن، وضعيف" .

2 اعتمد أغلب المفسرين في ترجيحاتهم على:

الترجيح بالقرآن، والحديث، كما استعملوا اللغة، والقراءات، وقول الجمهور، ودلالة السياق، علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ، استنادهم في الترجيح على قول الصحابة.

ترجيحات ابن كثير دائما تدور مدار الدليل النقلي ، ومنهجه يبتعد كثيرا عن مدرسة الرأي .

3 المراد بالتعارض في علم التفسير هو: أوسع من مفهومه عند الفقهاء والأصوليين، ذلك أن)التعارض(عند الأصوليين يراد به: الأدلة العقلية والشرعية، أما في

4 علم التفسير فيراد به: الأقوال المختلفة في التفسير، سواء أكان خلاف تضادّ أم خلاف تنوّع.

5 إن قواعد الترجيح عند المفسّرين هي: " ضوابط وأمور أغلبية يُتو صّ ل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله"

6 موضوع قواعد الترجيح: هو البحث في أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى.

7 أنواع قواعد الترجيح :

قواعد ترجيحية متعلقة بالنص القرآني.

قواعد ترجيحية متعلقة بالسنة والأثر

قواعد ترجيحية متعلقة باللغة.

8 كان لقواعد الترجيح أثر بالغ في اختلاف المفسرين

9 حاز قصب السبق في استعمال القواعد الترجيحية في ثنايا التفسير شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري، وقد كان له في الترجيح بالقواعد طريقان:

الأول: أن يذكر القاعدة الترجيحية بنصها عند ترجيحه لقول في التفسير.

الثاني: أن لا ينص على القاعدة بعينها ولكن يرجح بها.

ثانيا– أهم التوصيات

1- إنّ لقواعد الترجيح أثر بالغ في اختلاف أوجه التفسير، مما انعكس على اختلاف الأحكام الفقهية، وعليه وجب البحث في أثر قواعد الترجيح في اختلاف الأحكام الفقهية.

2- تكثيف جهود الباحثين من خلال البحث حول مناهج المفسرين في الإعتبارات التي أقاموا عليها ترجيحاتهم.

هذا الذي يسّره الله لي، والله وليُّ التّوفيق، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ صدق الله العظيم ﴾	الفاتحة	04	52
﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿	الفاتحة	06	13
﴿ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾	البقرة	03	19-17
﴿ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	البقرة	04	19
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	البقرة	06	22
﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾	البقرة	08	22
﴿ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ ﴾	البقرة	27	22
﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾	البقرة	31	36
﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	البقرة	40	24
﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾	البقرة	102	27
﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾	البقرة	228	14

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله ﴾	البقرة	249	29
﴿ الحِجۡرِ النَّحۡلِ الإِسۡرَاءِ الكَهۡفِ مَرۡيَمَ ﴾	آل عمران	81	24-25
﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِّسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾	آل عمران	187	23
﴿ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقۡمَانَ السَّجۡدَةِ الأَحۡزَابِ سَبَإٍ ﴾	آل عمران	199	20
﴿ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾	النساء	24	42
﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾	النساء	25	41
﴿ تَعَالَى: ﴾ ﴿ بِسۡمِ ﴾	النساء	34	30-32
﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِّسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	النساء	176	48
﴿ العظيم بِسۡمِ ﴾	المائدة	06	45
﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴾ ﴿ بِسۡمِ ﴾	الأنعام	96	55
﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	الأعراف	172	25
﴿ الفِيلِ قُرَيۡشٍ المَاعُونِ الكَوۡثَرِ ﴾	الكهف	96	48

﴿ المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير ﴾	الحج	55	51
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن ﴾	الحج	56	52
﴿ الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴾	النور	45	37
﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء ﴾	الفرقان	26	52
﴿ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم ﴾	القصص	54-52	20
﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر ﴾	الجن	07	48
﴿ الكهف مريم طه ﴾	الحاقة	19	48
﴿ المائدة الأنعام الأعراف ﴾	التكوير	17	53
﴿ التوبة يونس هود ﴾	التكوير	18	53
﴿ مريم طه الأنبياء الحج ﴾	الأعلى	5-1	19
﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾	الضحى	2-1	55
﴿ العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب ﴾	التكاثر	08	14

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
« ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين »	20
« يجتمع المؤمنون يوم القيامة »	39
«ويل للأعقاب من النار»	49
«ويل للعراقيب من النار»	49

فهرس الأعلام المترجم لهم

العَلم	رقم الصفحة
الطبري	17
ابن كثير	19
الواحدي	24
ابن العربي	48
ابن عاشور	42

.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع.

أولاً– الكتب:

أ– القرآن الكريم وعلومه.

1 القرآن.

2 أحكام القرآن، ابن العربي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1424هـ- 2002م.

3 الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، ط1،، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م.

5 الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ

6 ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ

7 مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن صالح الشايع، أسباب اختلاف المفسرين، ط1، مكتبة العبيكان-الرياض، 1416هـ-1995م.

8 مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، ط2، دار ابن الجوزي، 1423هـ.

9 مُحَمَّد صالح مُحَمَّد سليمان، اختلاف السلف في التفسير بين النظرية والتطبيق، ط1، دار ابن الجوزي، 1430هـ.

10 عبير بنت عبد الله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير –دراسة تأصيلية تطبيقية، ط1، دار التدمرية، الرياض –المملكة العربية السعودية، 1436هـ – 2010م.

ب– الحديث النبوي وعلومه.

11 البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1423هـ– 2002م.

12 مسلم، صحيح مسلم، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ج– معاجم اللغة العربية والموسوعات ولغة الفقه.

13 القاموس المحيط، الفيروز ابادي، ت: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 1426هـ– 2005م.

14 المصباح المنير، الفيومي، ت: عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 2016.

15 ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة –1414هـ.

16 بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر: دار الفكر 1399هـ – 1979م.

17 أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش _ مُحَمَّد المصري، نشر: مؤسسة الرسالة– بيروت.

18 تهذيب اللغة، الهروي، أبو منصور ت: مُحَمَّد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م.

د– كتب التراجم والطبقات:

19 السيوطي، طبقات المفسرين، ت: علي مُحَمَّد عمر، ط1، مكتبة وهبة – القاهرة، 1396.

20 الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.

21 القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، 1406 هـ – 1982م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
كلمة شكر	
ملخص البحث	
مقدمة	أ
المبحث الأوّل: مدخلٌ مفاهيميّ عام لقواعد الترجيح عند المفسرين	
المطلب الأول: مفهوم قواعد الترجيح.	07
الفرع الأول: تعريف القاعدة في اللغة والاصطلاح.	07
الفرع الثاني: تعريف الترجيح في اللغة والاصطلاح.	08
الفرع الثالث: التّعريفُ بالمُركّب الإضافي "قواعد الترجيح"	08
الفرع الرابع: الفرق بين قواعد التفسير وقواعد الترجيح والعلاقة بينهما	10
المطلب الثاني: اختلاف المفسرين	11
المبحث الثاني: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة باللغة.	
المطلب الأول: الترجيح بالأغلب من لغة العرب من خلال بيان المقصود ب(يؤمنون) في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 03]	17
الفرع الأول: قول ابن جرير الطبري	17
الفرع الثاني: قول الامام ابن كثير	19
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	21
المطلب الثاني: الترجيح بالعموم في القرآن في بيان معنى (العهد) في قوله تعالى ﴿الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ﴾ [البقرة: 27]	22
الفرع الأول: قول الامام الطبري	22

الفرع الثاني: قول الامام الواحدي	24
الفرع الثاني: توجيه قول الإمامين	26
المطلب الثالث: الترجيح بالتقدير وعدمه في معنى "ما" في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ [البقرة: 102]	27
الفرع الأول: قول ابن جرير	27
الفرع الثاني: قول ابن كثير	29
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	29
المطلب الرابع: الترجيح بالأغلب من لغة العرب في معنى (وَاهْجُرُوهُنَّ) في قوله تعالى ﴿ ...ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النساء: 34]	30
الفرع الأول: قول الامام ابن جرير الطبري	30
الفرع الثاني: قول الامام ابن العربي	31
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	34
المبحث الثالث: نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني والإجماع.	
المطلب الأول : الترجيح بظاهر القرآن في بيان المقصود بـ"الأسماء كلها" في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 31]	36
الفرع الأول: قول ابن جرير رحمه الله:	36
الفرع الثاني: قول ابن كثير	38
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين:	40
المطلب الثاني: الترجيح بالإجماع في بيان المراد بـ:(الطول) في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [النساء: 25]	41
الفرع الأول: قول الإمام الطبري	41

الفرع الثاني: قول ابن عاشور	42
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	44
المطلب الثالث: الترجيح بالسياق القرآني من خلال استنباط الحكم الشرعي المترتب عن العطف في قوله تعالى: ﴿العظيم بِسْ﴾[المائدة: 06]	45
الفرع الأول: قول الطبري	45
الفرع الثاني: قول الإمام الواحدي	47
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	49
المطلب الرابع: الترجيح بالسياق القرآني لبيان معنى (يوم عقيم) في قوله تعالى: ﴿ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ [الحج: 55]	51
الفرع الأول: قول الإمام الطبري	51
الفرع الثاني: قول الإمام ابن كثير	52
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	52
المطلب الخامس: الترجيح بالسياق القرآني لبيان معنى (عَسْعَسَ) في قوله تعالى: ﴿ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ ﴾ [التكوير: 17]	53
الفرع الأول: قول الإمام الطبري	53
الفرع الثاني: قول ابن كثير	54
الفرع الثالث: توجيه قول الإمامين	56
الخاتمة	57
الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية	60
فهرس الأحاديث النبوية	63

فهرس الأعلام المترجم لهم	64
فهرس المصادر والمراجع	66
فهرس الموضوعات	70

تم بحمد الله